لعبة الهرم

أنا صاحب الفكرة، أخبرته بقدوم فرقة من خارج البلاد، تقدم عروض الخفة والرشاقة، الوسيط الذي استقدم الفرقة أحد أصدقائي، عرضت عليه أن تقدم الفرقة عرضاً خاصاً للعمال في ساحة المعمل، فوافق، ووافق المدير، أقنعته بصعوبة، سيكون العرض في الساعة الأخيرة من الدوام، لن يدوم أكثر من ساعة، لابد من الترفيه عن العمال.

في ساحة المعمل، بين صفين متقابلين من العمال، بدأ العرض، والمدير على منصة عالية، وتم تخفيض ثمن التذاكر إلى النصف، شراء التذاكر اختياري، ولكن معتمد الرواتب وزعها على الجميع، واقتطع ثمنها، حتى أنا شخصياً اقتطع المعتمد ثمن تذكرتي، ولكن صديقي الذي استقدم الفرقة أكرمني بما أستحق، وزيادة، لا أعرف إن كان قد أكرم المدير أيضاً، ولكن لا بد.

قعدت في صف قريب من المدير، بحيث أتمكن من رؤيته، وأخذت أراقبه، متوقعاً أن أرى علامات السرور على وجهه، وأنا أطمع في رضاه، لعله يرقّيني إلى مراقب للعمال.

أحد عشر لاعباً، أجسامهم ناحلة، يتقافزون مثل فراشات، يشكلون حلقة مثل الوردة، ينقسمون إلى فريقين، يدخل بعضهم في بعض، في تقاطعات مذهلة، من غير أن يصطدم أحدهم بالآخر، ملؤوا ساحة المعمل نشاطاً وحركة، يتقافزون، يتلوون، يتثنون، يطيرون، في تشكيلات متعددة متنوعة.

أرقب وجه المدير، لم أستطع أن أرى أي تعبير عن أي استجابة، طبعاً لم يدفع هو ثمن التذكرة، ولا السكرتيرة، ولا المعاون، أحضر معه منذ الصباح ولديه، لرؤية العرض، زوجته جاءت مع بدء العرض، يبدو أنها أخذت إجازة لساعة واحدة من وظيفتها.

انفصل عن الفرقة أحد اللاعبين، أخذ يتلوى كأفعى، راحة كفه على الأرض، جسمه منتصب فوقها، بشكل أفقي، أخذ يدور، يده محور وجسمه يدور حولها، قفز، استلقى على وجهه، ثنى جذعه إلى الأعلى، التقى رأسه بقدميه، أدخل رأسه بين فخذيه، عموده الفقري التوى كالحرير، نهض، وضع رأسه على الأرض، رفع قدميه إلى الأعلى، كأنه بصلة مغروسة في الأرض، أخذ جسمه يدور كأنه مسمار حلزوني.

ذهلت عن المدير، التفت إليه، وأنا أتوقع أن أرى على وجهه علائم السرور، وإذا هو ملتفت إليَّ، يحدق بي،

بنظرة غريبة، تجنبت نظراته، التفت إلى اللاعب، تشتت ذهني، ثمة ألعاب أكثر بهلوانية، أكثر حذاقة، ولكن ماعدت أستطيع الاستمتاع بها.

اللاعب يقفز فوق أجساد اللاعبين، وقد ثنوا جذوعهم، اللاعب ينهض فوق أجسادهم، يتخطاهم برشاقة، ثلاثة لاعبين يرقون بالأقدام على أكتاف أربعة، اثنان يقفزان يطيران في الهواء، ليرقيا بالأقدام فوق أكتاف الثلاثة، لاعب يقفز، يحلق، يطير، يحط بقدميه الاثنتين على أكتاف اثنين، اللاعب الحادي عشر، اللاعب الذي دار بجسمه على يده، ثم على رأسه، هو نفسه يمضي إلى نهاية الساحة يستعد للركض، ليقفز.

ألتفت، أرى المدير قد نهض، أنهض، أجرى في إثره، أركض وراءه، يدخل إلى غرفته، يقعد وراء مكتبه، يستل سيكارة، يشعلها، ينفث الدخان، وأنا واقف أمامه، لا أعرف ماذا أقول، يبادرني:

ـ أوقف فوراً هذه المهزلة، واصرف اللاعبين، وليعد العمال إلى العمل، عليهم تعويض الساعة التي ضاعت.

أهمس:

- ولكن سيدي، لم يبق سوى دقيقة واحدة، لو انتظرت لرأيت اللاعب كيف يطير، ليحط برأسه على رأس اللاعب الذي في قمة الهرم.

ينهض، يتكلم بهدوء مفتعل وهو ينفث دخان سيكارته:

- لعبة أعرفها، ليست جديدة، مللت منها، قلت لك أوقف العرض.

في صباح اليوم التالي أتسلم كتاب نقلي إلى معمل آخر في محافظة نائية بوظيفة جديدة، وهي: حارس ليلي.

لو كنت أصغر في العمر ببضع سنين كنت انضممت إلى فرقة الخفة والرشاقة، ولعبت لعبة الهرم.